

دلائل الإعجاز

النرجسُ حقيقةً . ثم لا ترى من ذلك الحسنِ شيئاً . ولكن اعلمُ أن سببَ أن ° راقك وأدخل الأريحية عليك أنه أفادك في إثباتِ شدةِ الشبهِ مزيةً وأوجدك فيه خاصّةً قد غُرِرَ في طابعِ الإنسان أن يَرُوحَ تَاحَ لها ويجدَ في نفسه هزّةً عندها . وهكذا حكمُ نظائره كقولِ أبي نواس - السريع - :

(يَبْدُوكِي فَيُذْزِرِي الدُّرُورَ عَن نَّرْجِسٍ ... وَيَلْطُمُ الْوَرْدَ بِعُنْدَابٍ) .
وقولِ المتنبي - الوافر - :

(بَدَتِ قَمَرًا وَمَالَتِ خُوطَ بَانٍ ... وَفَاحَتِ عَنُوبَرًا وَرَنَتِ غَزَالًا) .
وأعلم أن من شأنِ الاستعارة أنكَ كلما زدتَ إرادتك التشبيهَ إخفاءً ازدادتِ الاستعارةُ حسناً . حتى إنكَ تراها أغربَ ما تكونُ إذا كان الكلامُ قد أُلِّفَ تأليفاً إن أردتَ أن تُفصحَ فيه بالتشبيهِ خرجتَ إلى شيءٍ تعافُهُ النفسُ ويلفظُهُ السَّمْعُ . ومثالُ ذلك قولُ ابنِ المعتز - مجزوء الرمل - :

(أَثْمَرَتِ أَغْصَانُ رَاحَتَيْهِ ... بِجَنَانِ الْحُسْنِ عُنْدَابًا) .

ألا ترى أنك لو حملتَ نفسك على أن تُظهر التشبيهَ وتُفصحَ به احتجتَ إلى أن تقول :
أثمرتُ أصابعُ يدهِ التي هي كالأغصان لطالبي الحسنِ شبيهَ العنابِ من أطرافِها
المخضوبة . وهذا ما تخفى غثائته . ومن أجل ذلك كان موقع العنْدَابِ في هذا البيتِ
أحسنَ منه في قوله :

(وَعَضَّتْ عَلَى الْعُنْدَابِ بِالْبَرَدِ ...) .

وذاك لأن إظهار التشبيه فيه لا يقْبُحُ هذا القبحَ المفرطَ لأنك لو قلتَ : وعَضَّتْ على